

عصمة الأنبياء في القرآن الكريم

(228) أوَّلاً، وواجهوا أنصاره وأعوانه بألوان التعذيب ثانياً، فقتل من قتل وأُودي من أُودي، وضربوا عليه وعلى المومنين به، حصاراً اقتصادياً فمنعوا من ضروريات الحياة ثالثاً، وعمدوا إلى قتله في عقر داره رابعاً، ولولا جرائمهم الفظيعة لما اخضرت الأرض بدمائهم ولا لقي منهم بشيء يكرهه، فأصبحت هذه الذنوب التي كانت تدعى قريش على النبي بعد وقعة الحديبية، أو فتح مكة، أسطورة خيالية قضت عليها سيرته في كل من الواقعتين من غير فرق بين ما ألصقوا به قبل الهجرة أو بعدها، وعند ذلك يتضح مفاد الآيات كما يتضح ارتباط الجملتين: الجزائية والشرطية، ولولا هذا الفتح كان النبي محبوساً في قفص الاتهام، وقد كسرت هذه الواقعة، وعرفت نزيهاً عن كل هذه التهم. وعلى ذلك فالمقصود من الذنب ما كانت قريش تصفه به، كما أن المراد من المغفرة، إذهاب آثار تلك النسب في المجتمع. وإلى ما ذكرنا يشير مولانا الإمام الرضا (عليه السلام) عندما سأله المأمون عن مفاد الآية فقال: "لم يكن أحد عند مشركي أهل مكة أعظم ذنباً من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، لأنهم كانوا يعبدون من دون الله ثلاثمائة وستين صنماً، فلمّا جاءهم بالدعوة إلى كلمة الإخلاص كبر ذلك عليهم وعظم، وقالوا: (أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشِدْدَةٌ عُجَبًا * وَانْطَلَقَ الْمَلَا مِنْهُمْ أَنْ أَمْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهِ هَذَا فِي الْمَلَأَةِ الْآخِرَةِ إِنَّ هَذَا إِلَّا لَاسِ اخْتِلَاقٌ) (1)، فلمّا فتح الله عز وجل على نبيه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) مكة، قال له: يا محمد: (إنّنا فتحنا لك (مكة) فتحاً مبيناً ليغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر) عند مشركي أهل مكة بدعائك إلى توحيده عز وجل فيما تقدّم، وما تأخر، لأن مشركي _____ 1 . ص: 5 - 7.